**المحاضرة الثانية**

**عنوان المحاضرة:المفهوم الاصطلاحي/النقدي"للخطاب"**

لقد حدث تطور كبير في مجال الدراسات المصطلحية النقدية الأدبية في العصر الحديث،بحيث اتخذت أبعادا تداولية نقدية وبخاصة في مجال دراسات تحليل الخطاب،كما أخرجت منها الكثيرمنها من بعض التصورات المفهومية الضيقة التي ظلت ردحا من الزمن يتداولها النقاد في مجال الدراسات النقدية الأدبية،وبالمقابل فقد توسع مجال تداولها في الدراسات الراهنة مثل ما هو الحال بالنسبة لمصطلح"الخطاب"الذي تطور مفهومه التداولي النقدي،بحيث أضحى يشكل مقولة مفتاحية لكثير من الدراسات الإنسانية والاجتماعية المعاصرة.

صحيح إن حلقة تأسيس الدرس النقدي المصطلحي والمفهومي"للخطاب"لم تتحدد معالمها الفكرية/الألسنية/النقدية إلا مع بعض المفكرين والدارسين والنقاد،لذلك فإنه من الصعوبة بمكان اقتفاء أثره وتطوره الدلالي العلمي النقدي لمصطلح"الخطاب"من مساره النظري إلى الإجرائي،جعل الباحثون ينطلقون من مسلمة مفادها أن مجال استعمال الخطاب يعد مرجعية لتحديد الأسس المفهومية لاستعمالات الخطاب ومن ثمة امكانية وضع الحدود المفهومية النقدية الأدبية له،لذا يتوجب علينا مساءلة مختلف المعالم/المحاضن التي اكتسى منها المصطلح تداوليته النقدية الأدبية،من خلال تلمس المرج>>--\* >عيات الفلسفية/الألسنية/النقدية التي أسست أرضية مصطلحية موضوعية،لهذا الفرع من الدراسة النقدية الأدبية الجديدة.

**أولا/المدلول الفلسفي لمصطلح"الخطاب":**ضمن هذا المنظور الفلسفي الثقافي نجد تحصيلا فلسفيا لمفهوم الخطاب في بعض الأعمال الفكرية لـ:ميشال فوكوه"وبخاصة في كتابه:نظام الخطاب"1981والذي حد فيه مدلول مصطلح الخطاب بقوله:إنه مجال عام لكل العبارات وأحيانا أخرى يمثل مجموعة من العبارات الخاصة وأحيانا أخرى يمثل ممارسة منظمة تفسر وتبرر الكثير من العبارات"[[1]](#footnote-1)مما يعني أن الخطاب يتساوى مع "العبارة"statement"ومن ثم فإن هذا المفهوم يتمفصل إلى ثلاثة مفاصل مفهومية-فلسفية/ألسنية،الأول-مجال عام لكل العبارات-فهذا يعني أن كل ما يتلفظ/يكتب وحامل لمعنى/دلالة في مختلف فضاءات العوالم الإنسانية فيعتبر"خطابا"فهذا المفهوم الجزئي المفصلي للخطاب اتسم بالشمولية أي له علاقة بمختلف مجريات الحياة الإنسانية والإجتماعية،وقد استعمله-فوكوه-عندما نبش في شقوق تكوينية مفهوم الخطاب وفق المنظور الفلسفي الثقافي.وأما في الشق الثاني باعتبار أن الخطاب-مجموعة من العبارات الخاصة-فهو يشير إلى تكوينية البنى الخاصة به والمهيكله له والتي تستعملها الذات المتكلمة والمنجزة للعبارت الخاصة،كل هذا يجعل من الخطاب مكونا من عبارات مهيكلة/منظمة/منسجمة/متماسكة/متناسقة لها مفعول/تأثير مشترك،ولها قوة دلالية ورمزيةمتعددة ومختلفة،لذا يمكن الحديث ضمن هذا السياق المفهومي المفصلي عن خطاب الذكورة/الأنوثة/الإشتراكية/الرأسمالية وغيرها.وأما الشق الثالث-باعتبار أن الخطاب-ممارسة منظمة تفسروتبرر-فهو بذلك يشير إلى أن الخطاب يتماثل/يتماهى مع"الإيديولوجيا" المكون خطابها من تشكيلات/أنساق فكروية متمفصلة ضمن العبارات المنجزة من طرف الذات المتكلمة،والتي تحكمها مبادئ/قواعد/ثوابت فكروية تتحدد وفقها نسقية الدلالة الإيديولوجية للخطاب،وبناء عليه فإن أهم مفصل مفهومي شمولي للخطاب وفق هذا المنظور هو أن الخطاب يخضع لقواعد وضوابط معينة كالإفادة/النظام/التفاعل/التماسك.

ومما سبق يمكن التأكيد على أن ستعمال-فوكوه-لهذه المفاصل المفهومية للخطاب،قد فتح المجال للبحث ودراسة مختلف تكوينات الخطاب المفهومية،وبخاصة في تلك التي تتماهى مع مفهوم الخطاب كإيديولوجيا،وضمن هذا السياق فقد أشار الكثير من الباحثين في مجال دراسات تحليل الخطاب من أن هناك تباينا بينهما،هذا ما جعل"روجرفاولر"يؤكد على صحة هذه الفرضية من ان الخطاب سواء أكان مكتوبا أم شفويا ينبغي النظر إليهما من زاوية"الالإعتقادات والقيم التي يجسدانها،ذلك ّأن هذه الإعتقادات وغيرها تمثل طريقة/رؤية للعالم قد تتماثل مع ما يمكن تسميته "بالموقف الإيديولوجي"الحيادي/الموضوعي"1[[2]](#footnote-2)لذا فإن مختلف أنساق الخطاب قد تحيل إلى أشكال التجربة التلفظية التي تتحقق ضمن سياقات التواصل/الدلالة التي تحتويها أنساق الخطاب مما يعني في جانب آخر أن جل الباحثين استعملوا هذه المفاهيم بطريقة متبادلة ومترادفة فتتداخل ويختفي كل مايميز كل تعريف عن الآخر.

**ثانيا/المدلول اللساني لمصطلح الخطاب:**ضمن هذا الإطار الألسني تعود جذور مصطلح الخطاب في حلقة الدرس الألسني الحديث إلى الإرث السوسيري،القائم على مجموعة من المقولات اللسانية المفتاحية هي:اللسان/اللغة/الكلام،هذا الأخير اعتبره-سوسير-أنه يولد خارج النظام وضد المؤسسة،إنه السلوك اللفظي اليومي الذي له طابع الفوضى والتحرر"[[3]](#footnote-3)بمعنى وبعبارة أخرى أن الكلام هو نتاج فردي يصدر عن وعي وإرادة الذات ذلك ذلك أنه يتصف بالإختيار ويظهر ذلك في مختلف الاستعمالات الكلامية الحرة للأفراد،وكذا لعمليات التعبير المختلفة،ومن هنا يمكن اعتبار مقولة الكلام موازية"للخطاب"من منطلق أنها تمثل إنجاز لغوي يتوجه به المتكلم إلى المستمع/المخاطب،هذا الأخير يقوم بفك تلك الرسالة اللغوية ويعيد تمثيلها بكل حرية ودون قيد،وبناء عليه يمكن أن يتحدد مدلول مصطلح الخطاب وفق المنظور السوسيري من أنه يتوازى مع مدلول الكلام،لكن وبالمقابل فإن الدراسات الألسنية المعاصرة،فقد أعطت لمفهوم الخطاب مرونة مدلولية واسعة،بحيث اعتبرته"ملفوظا يرتهن من خلاله المتكلم اللغة بالكلام"[[4]](#footnote-4)بمعنى يقوم المتكلم بتحيين اللغة وفق تصوره الكلامي الآني أو أفقه الإبداعي،أي تحويل اللغة إلى لغة ثانية،وضمن السياق نفسه عرفه كل من"جوفري ليتش/مايكل شورت"من أنه"إتصال لغوي بحيث يعتبر صفقة بين المتكلم والسامع،أو هو بالأحرى نشاط كلامي متبادل بينهما بحيث تتوقف صيغته على غرضه الإجتماعي"[[5]](#footnote-5)بمعنى وبعابرة أخرى أن الخطاب تجميع لأقوال/جمل/عبارات يتم تشريعها وفق سياق اجتماعي معين،فتتمثلها الذات وفق سياق ثم تختار طريقة/نظاما لخلق الكلام،والتي يستمر بها السياق ذاته في الإنتاج الكلامي،وضمن السياق المفهومي نفسه يكون الخطاب على شكل"المحكي الشفوي"بحيث تحقق الذات في عمليات إنجازه تفاعلا سرديا يتميز بالنظام/الإنسجام العميقين من حيث البناء الدلالي/الدلائلي،كل هذا جعل-إميل بنفنست-ينظر للخطاب على أنه"كلام/حديث يفترض متكلما ومستمعا،كما أنه يفترض نية التأثير الأول على الثاني بطريقة ما"[[6]](#footnote-6) مما يعني أن عمليات إنجاز الخطاب خاضعة للمقام التواصلي،بحيث تكون شفوية كما قد تكون مكتوبة بينهما،بمعنى آخر يصبح الخطاب يشكل كل الأنواع التي تخاطب بها الذات الآخر سواء أكان متحدثا أم متلفظا،ومن ثم فهو يشكل مجال من مجالات التواصل والإتصال الإنساني والإبداعي،فيصبح الخطاب ملفوظا منظورا إليه من وجهة آليات اشتغاله ضمن مختلف عناصر التواصل الإنساني،وهذا ما جعل المختصين في الألسنية يعتمدون في دراساتهم للخطاب على السياق اللغوي الذي يستعمل فيه بعض العبارات دون سواها،ذلك أن هذه السياقات الللسانية هي التي تحدد طبيعة المكونات الداخلية للخطاب الإبداعي الإنساني، ومن هنا أضحى-فعلا-الخطاب موضوعيا جوهريا في مختلف حقول العلوم الإنسانية والإجتماعية.

1. ينظر:سارة ميلز.الخطاب.ترجمة:يوسف بغول.منشورات جامعة قسنطينة.2004.الجزائر.ص:5 [↑](#footnote-ref-1)
2. 1-ينظر:سارة ميلز.الخطاب.ص:4 [↑](#footnote-ref-2)
3. 2-فارديناد ديسوسير.دروس في الألسنية العامة.تعريب:صالح القرمادي.محمد الشاوش.الدار العربية للكتاب.ليبيا.1985.ص:43 [↑](#footnote-ref-3)
4. -voir :Emile.benveniste.probleme de linguistique generale.t1.gallimard.paris.1977.p :110 [↑](#footnote-ref-4)
5. 2 -ينظر:سارة ميلز.الخطاب.ص:3 [↑](#footnote-ref-5)
6. -ibid.p :208 [↑](#footnote-ref-6)